

ناصر قنديل

حديث الجمعة هذا الأسبوع مع صباحات عاشوراء والدهس في فلسطين، وبينهما قلق وشك وفرح وعطر وباسمين، إلى ذكرٍ بما ينفع الذكرى عن تفكّك «فانتازيا» أوباما بمعارضة سورية يتكّى إليها، وصولاً إلى بدء مساهمات القراء في الحديث، بابٌ يفتح كي لا يغلق.

صباح الخير لفلسطين وأجساد أطفالها

صباح الخير
صباح الخير الطفولة الرقيقة تسترقها أظلم أيادي الجلاوزة والجزارين كحلمان في مسالغ الجلادين.
صباح الخير لوديع مسودة ابن الخليل في فلسطين الذي تمرّكز جنود قوات الاحتلال لسوق أيامه الغضة تحت أظافرهم وخشونة قبضاتهم، كأنهم يكتشفون جريمة العصر. وبكأوه وارتجاف عضلات صدره واختناق البحة في صوته، كل ذلك يهزّ أكبادهنا ويديمي عيوننا ويستنفر بقايا الكرامات في أمة كادت تفقد معنى النخوة والشهامة والكرامة.

لا أصبح الخير ولا أمسى على تنفخ كروش الامراء والشيوخ والملوك على العروش في موالد النفاق الرمضانية وكذبة الصيام قربة لله وتجارة خدمة الحرمين وهم يرون بالعيون البلهاء الفارغة المسترخية أهدابها كيف يموت أطفالنا وتساق نساؤنا ويعتدى على شيوخنا امام كل عتبة وتقتلع أشجارنا وتهدم قدسنا ولا تهتز لهم قصبه. كمشة اللحم التي ساقها الجند أمس للمتهم بالإرهاب وديع مسودة بسنواته الخمس وهو يلفظ أنفاسه بين أيديهم تكتب سيرة الاعراب ينفقون المال لنذبح الطيبين في سورية ليرتوي ظلما الحقد والانتقام لكل من تقدم عليهم في قيم النخوة والعزة وقضع عجزهم وعارهم وكشف خبياتهم من لبنان إلى غرّة.

كما أطفال سورية يتضرجون بدماء القتلة الذين سلطهم مال النفط الأسود والحقد الأسود الفتاوى السوداء، أطفال فلسطين تردبهم الأيدي السوداء بأعصاب باردة لأن أمتهم قد تخشبت وتيبست في عروقها الهم ومات حسابها بين الأمم.

صباح الخير يا وديع لقلبك لعينيك ليدبك لصرخاتك لنبضاتك فانت بقية شرف فينا ماتت بالأمس، فخير لك الطين من أن تشهد باقي مهزلة البيع والشراء في سوق النخاسة عندما يوقعون باقي صك اغتصاب فلسطين.

2013–9–12

ذكر إن تنفع الذكرى

قبل سنة، والمشهد الذي نراه اليوم يتأسس، كل يوم يسعى الاميركيون في قيادة حلف الحرب على سورية لبناء قوة موحدة قادرة على قتال الدولة وبعيدة عن القاعدة، والفشل نصيبها في هذه الفانتازيا، حتى صار الحال دعوهم يقتتلون.

2013-09-27

آخر همّ واشنطن مصير جماعاتها

● تقدّم سريع ومفاجئ في مفاوضات الملف النووي الإيراني وقبول أميركي بالنسخة الروسية التصعيد لمشروع القراء المعد لمجلس الأمن حربية الكيماوي السوري فما الذي تغير؟

● واشنطن كانت تنتظر جوابا إيرانياً وروسياً وصينياً حول تسهيلات الانسحاب من أفغانستان فحصلت عليه إيجابيا شرط إنهاء الخلاف حول سورية.

● راهنت واشنطن على الوقت وهي لا تملكه، ففي حالة أفغانستان معها أشهر قليلة لكنها كانت تمتصها حتى آخر قطرة انتظار ممكنة بالحفاظ على مناخ التصعيد أملاً بالحصول على ما هو أفضل.

● انهيارات متسارعة في تشكيلات المعارضة، والقاعدة تسيطر عسكريا وبنهار نفوذ الائتلاف كحصان للرهان في جنيف والمنافسات الانتخابية وخطة الكيماوي لسنوات تربط ضمان التنفيذ بتماسك المؤسسة العسكرية والأمنية السورية، وعلى رأسها الرئيس بشار الأسد، وبالتالي عدم التمسك بغلواء طرح الرئاسة السورية للنقاس والتفاوض والضغوط.

● الضغط السعودي والتركي للتصلب والعنجهية الفرنسية الفارغة لم تعد كلها تفيد ولا بد من إقحام إسرائيل، أنها ستواجه مطالبات التوقيع على معاهدات الكيماوي والنووي وتصير عرضة للضغوط.

● واشنطن تستارع إلى عقد تفاهات تقيدها ويلقغ غيرها شوكة بيديه.



قالت له

مساهمة أولى من القراء

أفتح باب المساهمة للقراء في أبواب حديث الجمعة، خصوصاً الصباحات وقالت له رياضيات في الكلام وذكر إن تنفع الذكرى، وهذه المساهمة الأولى للقارئة رانيا الصوص أنشرها مع التحية لجديتها وإبداعها في التجربة، بانتظار مساهماتكم.

قالت له: كن دائماً بخير؛ قوياً. قال لها: ولم الجديّة في الحديث؟ وكاننا أعراب على متن قطار، يتبادلون الوداع عند المحطة الأخيرة! لماذا تحوّلين كل الأمور إلى مواضيع ذاتية، وتهميني باللامبالاة والأناثية؟

قالت له: يعجبني فيك ذكاءك المنقذ، قدرتك على التقاط الإشارات ووصل النقاط ببعضها. ولهذا بقيت معك طوال تلك المدة من العراك الدائم بين ماهية الحب وكيفية عيشه. اليوم وباللحفة

البناء



صباحات

من الشرفة والياسمين والقلق والشك واليقين وعاشوراء إلى النصر والمقاومة... لكلّ يوم صباح

2014-11-4

صباح الحسين وعاشوراء

أراد الصباح اليوم أن يروي سيرة جديدة عن نفسه، فخلج من سيرة الإمام الحسين، ووجد قلبه حزينا وعينه تدمع. فقال للناس لا تنسوا الدماء وعهد الدماء، وجدّوا وعندكم هذا الصباح بهبهات منّا الذلة، فإنها كلمات أنست من قاتلوا مع الحسين وقع السيوف. وتأمّل الصباح ساحات الإحياء، وقال بعد مجزرة الإحساء، اللهم احم مواكب الآتئين لتلبية نداء الحسين. أما من ناصر نصرنا، ليقولوا ليبك يا حسين، فدع دماءهم تحبس لساحات القتال. واحجبيهم عن أنظار المتزيصين... وكلّ الصباح بعضاً من غيومه ليسدلها ستارة حماية إذا قرّر سيد المقاومة الخروج للناس مرّة أخرى... ومضى إلى سرّه بيكي هنيئة ويكمل التشيير بالضوء ثم بيكي، حتى بلوغ الظهيرة فانزوى ركتنا رأسه بين كفيه، متأملاً لماذا ترك جده الصباح يوم كربلاء القتلقة ينالون من الحسين، ولم يتسحب ويدع الظلام يخيم أياماً طويلة حول مخيم الحسين وأهله. ليأته الجواب من بعيد أنها كانت مشيئة الحسين أن يكون شهيداً، وكان على الصباح أن يؤمّن الضوء كي تسجّل الوقائع ولا تضع في العتمة منها ساحة، لأن تاريخ البشرية ستحكه هذه الوقائع لألاف السنين... صباحكم نصر.

2014-11-5

صباح رقاب لا تنحني

مرّ الصباح في ساحة القرية قبيل طلوعه على أهلها متخفياً، فوجد ذبح الخراف وتعليقها المشهد الوحيد الحيّ. وسمع وقع أقدام الناس يتوافدون طلباً لشراء اللحوم، والبائع يسمع عبارة واحدة: «لا تغشّنا بالله عليك، والبائع يهمس لكل من السائلين في آذنه: «أمعقول أن أغشك وأنت من عظام الرقية»، فصار همه أن يعرف حكاية هذه العظام قبل طلوعه، حتى وقف نبضت إلى حديث طاعن في السنّ يقول لحفيده: انتبه أثناء اللعب والقفز واللهو، فكلّ كسور العظام تجبر إل عظام الرقية، وكلّ كسور العظام لا تقتل إلاّ عظام الرقية، تضع يدك خلف رقبتك في كل حركة قوية»، لهذا، إن اعتبرنا أحداً قريباً إلى الحدّ أن تتعلّق حياتنا بسلامته، قلنا له: «أنت من عظام الرقية، لا لأن مذاقها في الطهو أنّ من غيرها كما تقول أمّك، فتحمّس صاحب عظام رقيته وهو يرى شاعرا يمسك رقيته ويسراه وربشته ويمناه ويكتب: «حرّ الرقاب ما بين عظامها كمدح الأديان وشتم إمامها، سهل وقاتل طالما النصل ماض، كامّة الإسلام تملن الحرب على إسلامها، فعملم أنّ عاشوراء انتهت وأنه يكرّس القول، في كثير من الفصيح وقليل من الحجيح، يقول ما حججت إلاّ أنا وناقتي ورجل من البصرة، ورجل البصرة هو نفسه كان صادقا في بيعة الحسين، وهو نفسه هو وقف يقاتل «داعش» دفاعا عن الأنبار... فأفسح الصباح بآلم في رقبته، فأنحني إلى مواكب الشهداء ومضى... صباحكم خير.

2014-11-5

صباح الدهس المبارك

استفاق الصباح على صوت عناوين الأخبار عن حوادث دهس متكرّرة في فلسطين، فأراد التعمّق قبل أن يقرّر منح الأضواء لمزيد من الرؤية أملاً بتخفيف الحوادث ومساهمة في السلامة العامة. ليكتشف أنها عمليات دهس لا حوادث، فلجأ إلى صديقة الليل الذي أحياء الفلسطينيين يشيعون شهيداً لعملية الدهس، وقد قتله جنود الاحتلال، فوجده مثله قليل العلم والمعرفة، فانسجبت بالشمس التي قالت إنّ زماناً مضى والفلسطينيون يفتلون بدم بارد ويعلمون جراتهم، وتفشل محاولاتهم باقتناء السلاح. وإنّ المستوطنين الذين يسميهم بعض الإعلام «مدنيين» تراهم تحت أشعتهم يذبّرون وينظّمون جولات لقطعانهم المتوحّشة للتنتيكل الذي صار هواية جماعية كصيد البط والوزّ، يتسامرون حوله وصيدهم فلسطينيّ، طفلاً كان أم شيخاً، رجلاً أم امرأة. وإنّ الدهس صار سلاحاً لا تكشفه معدّات الجيش المتطوّرة، الجيش الذي يحمي تغطرس المستوطنين وصلفهم وحشيتهم، فسائق الباص أو الجرافة أو السيارة، ليس عليه إلاّ أن يمتشق جسده العاري، ويشحنه قود العزيمة والإيمان، ويضبط عبارات عالية السرعة على نقلة فورية إلى الآخرة، يصطحب معه فيها ما ومن تيسّر من القتلقة للتقاضي بين يدي الله. وناشدت الصباح أن يكون عوناً لهؤلاء المظلومين، ويتخذ ما يستطيع من تدابير تسهّل عمليات الدهس وتزيدها، لأنها ابتكار جديد بعد الحجارة، يضعه الفلسطينيون لحماية حقهم في جدول الأعمال. فالتفت الصباح نحو المطر والريح، وتواطأوا على تسييل التراب طيناً نحو الطرق العامة، حتى تتحوّل كل عملية دهس إلى صيد تميّن لعشرات المستوطنين. وتأخر الصباح عمداً، كي يكون أطفال المدارس، على رغم قساوة قلوب آبائهم، قد بلغوا مدراسهم. فيقطع الصباح وتعصف الريح وينزل المطر وتنتشر الحوول ويفقّز الداهسون لتأسيس منظمة «داهس»، وحدها تعبّر عن الحق، بينما «داعش» يمشل الباطل. وللتمييز، حفظ الصباح الفارق بين كلمتيّ «عش» للطيور، فقال: «هس»، دعوا الطيور نائمة، فهمم المطر والريح أن القصد دعوا الفتنة نائمة وأدعوا المقاومة، فكان ما كان... صباحكم مقاومة.



2014-10-31

صباح الشرفة والياسمين

جاء الصباح متسائلاً عن سرّ الشرفة التي ينتظر الناس قدومه عبرها، فتأمّل أشكالاً وأنواعاً منها، قديمها وجديدها، كبيرها وصغيرها، ما ضاق على طاولة وكرسى، وما أتسع منها لمجلس أصدقاء. فأحس بالقهوة على الشرفة تتعانق مع الرشفة. وقال هذا أوّل الأسرار، تشابه طباق الكلام وجانسه موسيقى الحياة الأزلية، ووجدها فرشة زهور أفرزها الياسمين، فتدور حول أحرف الفراشة، وتنسج منها كلمات وكلمات. ولما تغادر الفراشة آخر نسج خيوط الليل يطل الضوء، فيكون الصباح. ووجد البيوت بلا شرفة علىا مغلقة بلا حياة، من الصين إلى الأندلس، تتغير الشرفات وتبقى الحياة. فالبيت بلا شرفة مهما ضاقت، كجسد بلا رتّة، أو حبّ بلا شفقة، أو عشق بلا انتظار. كحزب بلا نقاش، كمعارضة تشعل ضوء الانعطاف يسارا وتعطف على أول يمين، فتحاضر بعة الديمقراطية من حضن قطري أو سعودي. وقال بيت بلا شرفة لا روح فيه، وانتظار على غير الشرفة لا انتظار كالقول متى جئت فانا هنا. وقال الصباح للقلب بعض الشرفة منها ينتظر سماع دقاته السريعة لهفة أو خوفاً أو لقاء عاشق، واللمين شرفة منها تنتظر تلفف دعة اللقاء الأول والوداع الأخير، وللأوطان شرفة منها ترى المستقبل الآتي، والشرفة نصف حلم ونصف حقيقة، فيها تصنع الصلة بالشارح حيث الحلم، وبداخل المنزل حيث الحقيقية، تنفقد الباعة وينشئ معهم في سرّنا علاقات، ونروي لهم حكايات ونسع منهم قصصا، من دون أن نحدّثهم ويحدّثونا، حتى نذمهم ويدمنون، صوت قدوم الصباح من الشرفة يختلف عن تسلل ضوئه تحت ريف العين من وراء ستارة غرف النوم، حيث الراحة تصاحب الصوت ولا تعترف بالضوء، قوة وتدفع الحياة على الشرفة وسكون البرود من دونها. فكم مرة من شرفة القلب تمتد أيدي العناق، ومن شرفة العين ينطلق دعاء الأمل والرجاء، ومن شرفة العقل يكتب الشعر والفلسفة، ومن شرفة الوطن تتسع الأحلام الكبيرة. ولما وصل الصباح لنهاية جولته قات ضعضوا على شرفاتكم بعض الياسمين الدمشقي فوحده بين الأزهر يليق بقدومي، فهو منذ الأزل يشبه بياض حضوري، وفوح عطوري، ولكل زهرة من زهوره شرفة تصنعها بأوراقها تتدلى كالشفة السفلى لقبلة الانتظار، و«تندلق» منها قارورة عطر على وجوه المنتظرين... صباحاتكم ياسمين وشرفات أمل وإشارة جمال وطيب.

2014-11-1

صباح حبّات المطر

جاء الصباح بين حبّات المطر يسمع حوارها، حبّة تقول للأخرى: هل تذكرين عندما مررنا على منطقة تشعلت بالأشبيكات والاطلاق الرصاص، وكان المسلحون يشبهون رمايتهم بزخات المطر، فقالت الحبة الأصغر بين زميلاتها، انتبهوا أنّ حبة المطر عندما تصطلم بالرصاص تبقى حبة مطر ولم يحدث أن نجحت رصاصه بتفتيتها. فقالت الحبة الأكبر: لا تفتتق حبة المطر إلاّ عندما تسقط في حضن ورده تفتتق قصصير حيات أصغر وأصغر وتتلاشى، حتى تفوح عطرأ، ألاّ تنتبهين أن العطر السائل هو إعادة الخليط بين رحيق العطر والمطر، وأنّ الحبة منا تكفي لقارورة عطر، وأن كل ما يأتينا بالقوة يفشل وما نذهب إليه بالحب نذوب فيه. فتنبهت حبة ثالثة للحوار والصباح يسمع، وقالت: عندما نترنح فوق التراب يخرج عطر الأرض، وما فيها من تاريخ ونكريات، فتنبهت رائحة لا يخترنها عطر واحد، ويشمّها الناس كل بحال، من يحسها لحنا حزينا فيسمعها ولا يشمها، ومن يحس تحت لسانه مذاق المرارة، ومن يملء رقبته نفسا عميقا ويقول: الله إله رائحة التراب، ما أجهل الشتاء، وأخر يقول إنه عبق الشهداء، فتلفت الصباح ليشهد لمع البرق وطغيان هدير الرعد على أنيز صوت حبات المطر المنهمرة كمشال، وتذكر حوار التراب مع المطر والبرق والشرارة التي ينشئونها لتوليد نبتة «الكما» أو نبات الفطر وكيف يضع كل منهم أفضل ما عنده، فتفغمس الحبات المتراقصة بذرات التراب ويصعقها البرق بشحناته الكهربائية لتتشكل لبنة خبز يتزودها الفلاحون بركة موسم الشتاء، وكيف يتحول المطر حبة حبة إلى رذاذ مع نسمة هواء ناعمة تلغخ وجه عامل الفرن ويأبع الخضار وباعة الصحف في المدينة، بينما الريح العاتية تكفل حبات المطر وتجمعها وترص صفوفها فتصير أشد قسوة ووطأة، فتصير عبرة جديدة لحكمة المطر مع الحنو واللين، وغضبه بوجه القسوة والإكراه. ولما اقترب الصباح من موعد الوصول، تطلع يميناً ويساراً فرأى امرأة عجوزاً تضع شتلة الحبق تحت «مزابل» بيتها وتقول: اللهم اجعله موسم خير. بينما وجد صاحب المصرف في المدينة يقول: سيرتفع سعر الين اليوم وينخفض اليوم، لأنّ الزراعة ستتتفش وشركات النقل ستتتخرّ. فرمى الصباح كمشة تراب بين قدميه وتركه يتزلق في بورصة الأَسعار، بينما حمل شتلة الحبق بين كفيه وأزاح غيمة عن الشمس ليطل النور على العجوز، وتقول: ها قد جاء الصباح أثار الله صباحاتكم بخير المطر والنور، والصباح يحمل عبرة حبات المطر يوزعها على البشر وكيف تذوب حبا ويجمعها... صباحكم خير ونور ومطر.

2014-11-2

صباح الثقة واليقين

توقّف الصباح عن الذين تدقّ ساعات يظلمتهم مع مروره للتوّ، وهم نصف نيام، فيفاجئهم سؤال الوهلة الأولى ويلتعمّون وتكون إجاباتهم أكثر صدقا، وكان السؤال: هل لديك الثقة ذاتها في دواخل أسراركم كالتّي تظهرونها في حواراتكم مع الغير بصحّة أقوالكم وأفعالكم، كالثقة بطولع الصباح، وإطلالة النور من خلف الستارة؟ فتلعثوا جميعا إلاّ واحدا قال: المشكلة في الناس افتراض أنّ شدة الإيحاء بالثقة قوة تسند الفعل والقول، أما أنا فقد جرّبت طريقة أخرى، فكلما زاد يقيني بفكرة قلت ربعا، وقدمتها بتشكيك منّي يزيد عن أيّ تشكيك سألناه، وكلما أردت الدفاع عن شيء أسأل عنه بدأت بالتفتيش عمّا سيقال لهله صحيح وتنبّيته وتساءلت: هل فعلا أنا أخطئ لهذه الدرجة، فاكتشف أنّي أحوز في كل ما يتصل بأخطائي الواقعية أو ما هو مفترض منها بمعونة وزاد على تخيلها أو إيضاحها ومنحي الثقة على قدراتي ومواهبني وكفاءاتي. وفي كل فكرة بدأت بعرضها مشككا وجدت منادفين عنها أشدّ منّي بأسا وثقة، يتلقفونها وبيادرونيي الدعم والتشجيع للمضي بالقول والمنافعة عنها حتى تسود. وأعود إلى نفسي كل ليلة أنتظر طلوعك أيها الصباح، وعندي زاد حبّ وفرح وثقة، لاكون أشدّ تواضعا أمام الغير أكثر من صراحتي أمام نفسي ومرآتي، وأعلم كم هو متعب وشاق أن يضع الناس أنفسهم بسبب شدة الثقة المدعاة أمام أقرب المقربين وأبعد الأبعدين في موضع الدفاع عن قول أو فعل.

فقال الصباح: ومن أنت؟ قال: أنا الليل الواثق من نهايتي عند طلوعك والمننظر قدومك كي أرتاح من وهم قوتي. وأنا السواد المطلق والقوة العاتية والقادر على إخفاء الحقائق. فكم أخفيت أسرار عشق تعب أهله في إنكاره وكتمت أسرارّه. وكم شاهدت من جرائم وسمعت أصحابها يستنكرون بثقة. وكم من رباح حضّرت في كفي وحروب نهيات ونفوس جبارة أسندت رأسها عندي إلى الواسدة محتارة. فكم أوحيت للناس بأفكار وأشعار وأخذتهم بتواضع إلى بحار وأمصار وشجعتهم على مغامرات وأسفار، والبدء دائما عندي كان ربما، ربما يكون مفيدا، ربما أكون أنعجتمك، ربما اطلت عليكم، ربما أنا على خطأ لكنني أظن، وربما أنّ الصباح سيخلفني عنكم بما هو أجهل... فإليك الرؤية أيها الصباح، أنت الثقة وأنا التردد، وأنت اليقين وأنا الشك.

فأحني الصباح رأسه تحية لانسحاب ستارة الليل، مخليا المسرح، وخاطب الناس: تواضعوا كالليل و يتقنوا من صباحاتكم الآتية فهي صباحاتكم، وأنا إشارة بدنها ليس إلا... صباحاتكم ملؤها الثقة واليقين.

2014-11-3

صباح القلق والفرح

عندما همّ الصباح بالمسير لملاقة الناس، سمع صوت الباعة يستعدّون مثله للانطلاق، والفلاحين والعمال والطلاب. وحدهم رجال الاعمال ينامون، فهم و«البكوات» و«الباشوات» يبدأ صباحهم مع انتصاف الشمس في السماء، لأنّ ليلهم المترّف يلاقي ساعات الصباح. تسال عن الذين يشغلون حتى يصلون الليل بالناهار، فرأهم مستقبليه العمل يفتحون عيونهم للصباح وضوئه، ويلتفحون به قبل أن يتألوا بعضا من راحة جسد اتعبه الأوزل والسهير وينهضون. لأنّ الستكورون لا يعرفون نوم المطمئنين. لذلك حتى في الحب والعشق، النؤامون هم المطمئنون، والصباحيون هم القلقون والحبّ للحياة والوطن والحبيب، يظنه الكثيرون طفريا مولودا مع الجنينات لكنه نوعان، نوع مولود بالفطرة وراه الغريزة المرتبطة بالحاجة والمصلحة وقوة التمسك بالبقاء، وأهل هذا النوع هم الكثرة ويكثرون لإعلان التخلي كلما واجهتهم الصعاب، فتصير الحياة رحلة عذاب يتأفقون منها، ومن حظهم السيئ وهم في أحسن حال، ويصير الوطن إذا حلت به المصائب لا يُسكّن إن توافرت أوطان أخرى، فالوطن والخورف لا يجتمعان، وبعضهم يكرهون أوطانهم ويتندرون عليها بالطراف لمعاكسة الظروف لها أو لسوء أحوالها، والحبيب المتعب مشقة لا تسهل الحياة معه. أما النوع الذي فطرته القلق فمتعب لكنه ثابت، حبّه للحياة كفاخ لا ترف، وحبه للوطن في الملّمات لا في الطيبات. والحبيب مهما قسا وغرّد بعيدا هو الحبيب. لا ينتظر الصباح المترفون، بل القلقون، والصباح يعد بين زواره أهل القلق لا أهل الترف. وكلّ بحالهم فرحون، من يصف صباحه بالفرح ومن يصفه، ليسوا عند الصباح سواء، وأهل الفطرة كثرة لكنهم لا يتسليبون الصباح. أهل القلق وهم مطمئنون صباحيون وأهل الترف في نومهم تنقصهم موسيقى الفرح حتى يستشعروا تغييرا في الموازين، وما جاءت موسيقى الفرح لمن غادر القلق وساك نومه على فكرة أو عشق أو وطن... صباحاتكم قلق وخير وفرح.